

النفوذ السياسي لبني خالد في الأحساء وعلاقتهم بالأشراف

في نجد في النصف الثاني من القرن السابع عشر

د. محمد الامير أحمد عبد العزيز

كلية الاداب - جامعة اسويط - مصر

البريد الالكتروني: Mohamedelamir379@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة بالبحث النفوذ السياسي لبني خالد في الأحساء، ومدى تمكنهم من السيطرة على هذا الإقليم الهام، وانتزاعه من أيدي العثمانيين، ونجاحهم في إقامة ملك لهم في تلك المنطقة الإستراتيجية، ورغبتهم في توسيع رقعة نفوذهم لتشمل نجد مما جعلهم يدخلون في طور الصراع مع الأشراف الذين كانت لهم نفس التطلعات في نجد .

الكلمات المفتاحية: النفوذ السياسي ؛ بني خالد ؛ الأشراف ؛ الأحساء ؛ نجد

Abstract

This study examines the political influence of Bane Khalid in Al-Ahsa, the extent to which they managed to control this important region from the ottomans, their success in establishing a king in the strategic region, and their desire to expand their influence to include the Najd, they have the same aspirations in the soul .

key words: Political influence ; Bane Khalid ; al-ahsa ; Najd

المقدمة

تعد قبيلة بني خالد من أقدم القبائل العربية التي سكنت ساحل الخليج العربي، وأصبحت مع مرور الزمن من أبرز القبائل العربية في شرق الجزيرة العربية بعد أن تهيأت لها العوامل لحدوث ذلك، وتمكن بني خالد من انتزاع منطقة الأحساء من حكم العثمانيين، تلك المنطقة المهمة استراتيجياً وزراعياً وتجارياً، وتعزيز سيطرتهم عليها ومد نفوذهم إلى نجد، التي لم تكن بعيدة الصلة بهم، وفي تلك المرحلة من التوسع وفرض الهيمنة على نجد، عاصر بني خالد قوى رئيسية أخرى كان من أبرزهم الأشراف، الذين سعوا بدورهم لمد نفوذهم إلى نجد، لتمر العلاقات بين الطرفين

بفترات من التعايش والاستقرار وفترات أخرى من التنافس المباشر والغير مباشر على السيطرة ومد النفوذ في نجد.

1. النفوذ السياسي لبنو خالد في الأحساء

يمتاز إقليم الأحساء بإطلالته على الساحل الغربي للخليج العربي، ووفرة أماكن الغوص على اللؤلؤ في ساحله، وساعدت الظروف الطبيعية والجغرافية على تنوع مناخه وخصوبة أراضيه واتساع نطاق المحاصيل الزراعية وبساتين النخيل خاصة، وتزداد في المناطق الزراعية المهمة مثل الهفوف والمبرز وجبيل والمسلمية، وبذلك تضافرت مقومات الاستقرار للقبائل في هذه المنطقة⁽¹⁾.

وكانت الإحساء موضع صراع بين العديد من القوى التي حاولت أن تهيمن على أقدار هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية العالمية، خاصة وأنها ملتقى الطرق التجارية الهامة التي كانت تربط بين الجزيرة العربية بفارس والهند وبلدان شرق إفريقيا، وبعبارة أخرى كانت الأحساء إحدى نوافذ الجزيرة العربية على مياه الخليج العربي، وكانت موانئها كالعقير والقطيف أهم موانئ شرق الجزيرة العربية⁽²⁾.

ومن أهم قبائل الأحساء قبيلة بنى خالد والتي سكنت منذ القدم شمال الحجاز ثم انتشرت القبيلة في الفترات اللاحقة في ديار بكر وامتدت عبر العراق إلى الجنوب ثم الكويت ونجد واستقرت القبيلة في الأحساء، وتركزت قوتها ومكانتها في هذه المنطقة، وأصبحت من أقوى القبائل العربية في شرقي الجزيرة العربية⁽³⁾. غير أن نفوذ بنى خالد في الأحساء تعرض للخطر، خاصة أن منطقة الأحساء منذ العقد الأخير من القرن السادس عشر أصبحت قاعدة عثمانية خاضعة لسلطة ولاية عثمانيين، أصبحوا بمرور الوقت ذوي صلاحيات محدودة حتى بدا حكمهم لها اسمياً تمشياً مع سياسة الدولة العثمانية التي آثرت عدم التدخل في شئون القبائل⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من سيطرة الدولة العثمانية على الأحساء فإن قوة ومكانة زعماء بنى خالد في المنطقة ظلت ثابتة طوال الحكم العثماني لها، لدرجة إدراك العثمانيين لهذه المكانة فأدروا المنطقة على ضوئها، ولم يثن ذلك بنى خالد عن محاولتهم الانفراد

بحكم المنطقة، ثم إن براك بن غرير * شيخ بنى خالد نفسه كان فى صراع مستمر من أجل تحقيق ذلك على الأقل منذ سنة 1663م مستغلاً ضعف الدولة العثمانية داخلياً وخارجياً، وأعلن براك بن غرير الثورة وبسط يده على معظم المنطقة، وأدرك عمر باشا (1666-1671م) آخر الولاة العثمانيين فى الأحساء صعوبة موقفه واستحالة وصول الإمدادات من البصرة فقرّر تحصين البلد، فحاصره براك بعد أن رفض التسليم، وطال الحصار على قوات عمر باشا وقل قوتها فاضطرت إلى أخذه من الأهالى ولو عن طريق القوة مما أدى إلى استيائهم⁽⁵⁾.

وفى ظل عدم قدرة عمر باشا على الدفاع عن الأحساء، قام براك بن غرير بالهجوم على الحامية العثمانية فى الأحساء ومعه محمد بن حسين بن عثمان، ومهنا الجبرى، وتم طرد من كان فى الحصن، بعد أن تم تسليم الحامية واستسلام أهلها الباقين الذين رحلوا منها سالمين إلى بغداد، فضبط براك ثغورها وحصن قصورها ونودى به رئيساً على الأحساء⁽⁶⁾.

ويبدو أن استيلاء براك على الأحساء قد أثار حنق قبيلة المنتفق العراقية والتي كانت ذات نفوذ كبير فى الأحساء، وكانوا حكاماً للأحساء حتى انتزع منهم الحكم على يد الدولة العثمانية، وعندما ضعف وجود العثمانيين فى المنطقة، واستطاع بنو خالد الاستيلاء على الأحساء، شق على هؤلاء استيلاء بنى خالد على الأحساء واستبدادهم بالحكم، فتطلع المغامس إلى استعادة حكمها واستخلاص الأحساء من بنى خالد، وبهذا ظهر لبنى خالد بزعامه براك منافس محلى هو الشيخ راشد بن مغامس آل شبيب زعيم المنتفق فى تلك الفترة الذى زحف بقواته على الأحساء معلناً أحقيته بها، فتصدى له بنو خالد بقيادة براك، ووقعت بين الطرفين معركة عام 1670 م انتهت بهزيمة المنتفق وقتل زعيمها راشد وكثير من قومه أثناء المعركة، وانهزم الباقون من قومه، ونتيجة لهذا حسمت زعامة المنطقة نهائياً لبنى خالد، وأصبحت القبائل المتحالفة مع الشيخ راشد بعد المعركة تحت لواء بنى خالد، مما زاد من قوة براك ونفوذه فى الأحساء⁽⁷⁾.

ولعل من أهم الأسباب التى مكنت بنى خالد من البروز كقوة رئيسية تمكنت من مد نفوها وسيطرتها فى الأحساء والساحل الشرقى للجزيرة العربية، بالرغم من وجود

أكثر من قوة إقليمية منافسة، همة وعزيمة براك بن غرير التي أبدتها في استعادة الأحساء من يد الدولة العثمانية ونجاحه في استغلال لظروف السيئة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية وصراعها مع القبائل المحلية في المنطقة ومن أبرزهم آل أفراسياب في البصرة والأحساء والذي أنهك الطرفين، إضافة إلى رغبة بنى خالد في فرض الهيمنة على بقية القبائل في هذه المنطقة أو الطامعة بالسيطرة عليها نظراً لما تمتاز به المنطقة من تنوع زراعى ونشاط تجارى متميز⁽⁸⁾.

بالإضافة إلى استغلال بنى خالد لموقعهم وإطلالهم على معظم الساحل الغربى للخليج العربى ذى الأهمية الاقتصادية والذي كان أحد أهم الطرق التجارية التقليدية، وقد أدرك بنى خالد أهمية التجارة لمنطقتهم، ودورها فى زيادة مكانتهم بين قبائل المنطقة، خاصة أن فترة حكمهم صادفت اتساع التجارة الدولية خصوصاً بين آسيا وأوروبا، وعودة أهمية الخليج العربى طريق رئيس فى ذلك المجال، وأيضاً تولى بنى خالد حماية قوافل الحجاج المارة بالأراضى الخاضعة لنفوذهم إضافة إلى الإشراف على قافلة الأحساء والمناطق المجاورة وتسييرها تحت حماية قوة عسكرية بقيادة أحد زعمائهم أو أتباعهم⁽⁹⁾.

على أية حال فقد أخذ نفوذ بنى خالد بعد هذه المعركة يستقر فى الأحساء بصورة كبيرة، خاصة أن الدولة العثمانية منذ استيلاء براك على الأحساء لم تقم بمحاولات لاستعادتها من يد بنى خالد، وعلى ما يبدو أن نجاح براك فى بسط نفوذه الكامل وسيطرته على الأحساء قد لاقى قبولاً من جانب الدولة العثمانية، والتي كان كل ما يهمها من الإحساء هى أن تظل بعيدة عن يد القوى البريطانية أو القوى الخاضعة لنفوذهم، لأن الدولة كانت تعتبر الإحساء خط الدفاع الشرقى عن مكة والمدينة⁽¹⁰⁾.

كما أن بنى خالد لم يحاولوا التوسع على حساب العثمانيين، إضافة إلى أن سلطتهم فى الأحساء ستكون قادرة على مواجهة قبائل شبه الجزيرة العربية ورد اعتداءاتها على قوافل الحجيج والتجارة⁽¹¹⁾، ومن ذلك ما قام به بنى خالد من تأديب قبائل الظفير عام 1678 م لقيام تلك القبائل بالتعرض لقوافل حجاج الدولة العثمانية من

العراق، وحماية قوافل الحج آنذاك مظهر من مظاهر وجود الدولة العثمانية وحمايتها لشبه الجزيرة العربية⁽¹²⁾.

ولاشك أن سياسة براك بن غرير تجاه الدولة العثمانية عقب استيلاءه على الأحساء، وعدم محاولته الاحتكاك بها، بل والعمل على كسب رضاها تدل على حنكة سياسيه وحسن تقدير للأمور من جانب براك، فهو بذلك يضمن تحييد خصم قوى، وحتى يتفرغ لمواصلة مد نفوذه دون أن يقلق من تدخل الدولة العثمانية لعرقلة ذلك.

على أية حال فعندما استقر الحكم لبراك جعل مقر إقامته وحكمه بلدة المبرز* وبنى قصراً عظيماً يعرف الآن بالقلعة، وبنى بجانب قصره مسجد⁽¹³⁾.

غير أنه لم يلبث أن وقع صراع على السلطة بين براك وابن عمه محمد بن حسين بن عثمان، ساعده الأيمن في الاستيلاء على الأحساء، حتى حسم الأمر بمقتل محمد بن حسين، وهكذا استطاع براك أن ينفرد بالسلطة، وأن يخرج بنى خالد من الخلافات ويغزو بهم سنة 1679 م آل نيهان من آل كثير وهم قاطنون على قرية سدوس* وقتل منهم رجال واستولى على أموالهم⁽¹⁴⁾.

ويبدو أن ما فعله براك من قتله لابن عمه، اضطر إليه حفاظاً على وحدة بنى خالد وتماسكهم في ظل وجودهم وسط العديد من القوى المنافسة لهم، والتي تنتظر الفرصة السانحة لإزالة حكمهم عن الأحساء، وأيضاً اقتناعاً منه أنه صاحب الفضل الأكبر فيما وصل إليه بنى خالد من الاستقرار والسيطرة، وبالتالي يستحق زعامة بنى خالد.

وقد أخذ براك بن غرير بعد أن ثبت سلطته في الأحساء إلى توسيع نفوذه وسيطرته على المشيخات والإمارات الواقعة نحو الغرب من ملكه أى إلى نجد، وراح يتدخل في شئونها خاصة أنها كانت تفتقر إلى وحدة سياسية قوية، حيث كانت تنتشر فيها إمارات أو كيانات قبلية صغيرة متناثرة ومتطاحنة على رأس كل منها أمير، وتعيش حالة من الصراع والحروب المستمرة⁽¹⁵⁾.

وقد كانت العلاقة بين الأحساء ونجد تتمثل في علاقات اقتصادية وعلاقات حربية، أما بالنسبة للعلاقات الاقتصادية كانت تتمثل في الهجرات المتتالية نتيجة للقحط

والجفاف الذى يعم جميع البلاد النجدية أثناء الجذب، وقد كانت الأحساء بواحاتها مأوى لأهل نجد، إضافة إلى ذلك فقد كان ميناء القطيف هو المنفذ الوحيد الذى ينظر إليه أهل نجد لتمويلهم بما يحتاجون إليه من أرزاق تصلهم عن طريق الهند إلى داخل نجد، وبالنسبة للعلاقة الحربية فإن الموقع الجغرافى الذى حكم فيه بنو خالد جعلهم يفكرون فى توسيع ملكهم نحو نجد مما جعلهم أيضاً يحتكون بصغار الأمراء الذين يحكمون فى نجد⁽¹⁶⁾.

على أية حال اتجه براك فى أول غزواته ناحية نجد؛ لإخضاع قبائل الظفير* 1675 م، وجرت مواجهة بين الطرفين انتهت بسجن ابن صويط لدى براك حتى استجاب لمطالبه فأطلق سراحه⁽¹⁷⁾.

ويبدو أن هذه المواجهة التى وقعت بين بنى خالد وقبيلة الظفير بسبب مهاجمة ابن صويط لأطراف الأحساء بعد أن اضطرتته مجاعة نجد فى الفترة من 1674-1676 م إلى ذلك⁽¹⁸⁾.

وعلى ما يبدو أن نجد كانت دائمة التعرض لموجات من الجفاف مما يتسبب فى حدوث مجاعات بها، على العكس من إمارة الأحساء الغنية زراعياً وهو ما كان يدفع قبائل نجد لمحاولة الهجوم على الأحساء للحصول على الغذاء.

وقد قام براك فى السنة التالية بالهجوم على آل عساف أحد فروع قبيلة آل كثير وهم على الزلال عند الدرعية، وتتواصل تلك الحملات ففي صيف 1679 م هاجم بعض القبائل النجدية وهى نازلة على موارد المياه ففاجأ فى الصباح الباكر قبيلة السهول على مورد رماح فهزمهم واستولى على مواشيهم، ثم اتجه جنوبى نجد إلى مورد الرملية بالقرب من القويعية حيث تنزل قبيلة قحطان هدف حملته الرئيس، ولكنه وجد القحطانيين قد انسحبوا بعد أن تم إنذارهم فتبعهم بقواته وأدركهم فى شعب الخنقة وهو موقع حصين يسهل الدفاع عنه⁽¹⁹⁾ ووقعت بينهما معركة حامية كانت الخسائر فيها كبيرة لكلا الطرفين، وكانت محصلة المعركة فى النهاية لصالح براك وإن لم يكن نصره بحجم خسائره، ويبدو أن دافع حملته على قحطان هو هزيمتها لقبيلة الدواسر

فى العام السابق على المورد نفسه والذين طلبوا مساعدته، خاصة بعد أن استعانت قحطان بقبيلة آل كثير مما أدى إلى ازدياد قوتها⁽²⁰⁾.

وفى سنة 1681 م مات براك بن غرير شيخ بنى خالد، والذى تمكن من تأسيس إمارة خالدية شملت شرق شبه الجزيرة العربية وامتد نفوذه إلى نجد وما جاورها، وتولى بعده رئاسة بنى خالد أخوه محمد بن غرير وكان رجلاً حسن السيرة، كريم الأخلاق والطبع، متواضعاً ذو همة عالية، وخصص لكل طائفة من بنى خالد منزلاً وجعل لمشايخ كل قبيلة أملاكها وأقطعها أرضاً من الإحساء والقطيف، وإذا كانت فترة حكم براك فترة التأسيس لحكم بنى خالد فى الأحساء فإن فترة محمد بن غرير بداية الاستقرار؛ مما أتاح له فرصة العمل على تنظيم أمور الأحساء، والتوسع على حساب قبائل نجد⁽²¹⁾.

ولا شك أن فترة الاستقرار التى شهدتها إقليم الأحساء فى عهد محمد بن غرير يعود الفضل الأكبر فيه إلى براك بن غرير والذى لولا جهوده فى ضبط الأمور فى الأحساء وما حولها، لما تمكن أخيه محمد بن غرير من مواصلة التوسع ومد نفوذه فى نجد.

ومنذ تولى محمد بن غرير الزعامة الخالدية بدأت تظهر صلة بنى خالد العسكرية بالبلدان النجدية، إذ أخذت بعض حملاته على نجد طابعاً جديداً فقد كان هدف أولى حملاته على نجد بلدة اليمامة فى إقليم الخرج القريب من الإحساء بخلاف حملات بنى خالد السابقة المقصورة على القبائل النجدية، وحملة اليمامة لم تكن مجرد غارة خاطفة بل كان هدفها فرض التبعية والخضوع على الأقل، إن لم يكن بهدف التوسع والضم المباشر⁽²²⁾.

وقام محمد بن غرير وتنفيذاً لأهدافه التوسعية فى نجد فى سنة 1687 م بحملة على بلدة الخرج وحدث بينه وبين آل عثمان رؤساء الخرج قتال شديد انتهى بالصلح بين الطرفين ورجع عنهم، وكان ينوى ضم الخرج لملكه لما تتمتع به أرض الخرج من خصوبة التربة والخرج ناحية من نواحي نجد الجنوبية تبعد عنه بنحو خمسة وثمانين كيلو متراً، وهى من أخصب نواحي نجد، وقد كانت مهمة منذ زمن بعيد،

وكانت من الإمارات المستقلة عن الإحساء وعن الإمارات المنتشرة في نجد وكان محمد بن غرير ينوي ضمها إلى ملكه⁽²³⁾.

علاقة بنى خالد بالأشراف في نجد

كانت سياسة بنى خالد الرامية إلى التوسع في نجد والتي كان يهيمن عليها نفوذ الأشراف لفترة طويلة، أدى لظهور نوع من التنافس بين بنى خالد والأشراف للسيطرة على قبائل ومناطق نجد، وقد كانت علاقة الأشراف ببنى خالد في نجد علاقة قديمة، فلم يكن بنو خالد بعيدى الصلة بنجد فقد كانت بعض أجزائها ديار لبعض القبائل الخالدية، وعقب سقوط الإمارة الجبرية وبداية النفوذ الفعلي للأشراف في نجد ورد صراعهم مع بنى خالد عندما هاجم الشريف حسن بن أبى ندى سنة 1557 م بعض القبائل منهم بنى لام رداً على اعتدائهم على قافلة المدينة المنورة في موسم الحج سنة 1555 م، ومن المحتمل أن بنى خالد من الذين شملهم ذلك الهجوم وأنهم ضمن بنى لام، فقد ورد وجودهم في نجد مرتبطاً ببنى لام أثناء العهد الجبرى، وفي سنة 1563 م ترد مهاجمة الشريف أبو ندى لبنى خالد، وكان الهجوم السابق قد وقعاً في الأراضي النجدية، ثم يرد ذكر بنى خالد مرة أخرى في نجد سنة 1581 م عندما غزا الشريف حسن بن أبى ندى نجد بقوات كبيرة من ضمن أسلحتها المدفعية فتمكن من فتح حصون البديع والخرج واليمامة ثم رجع بعد أن عين عليها من يمثله وينفذ مطالبه وشروطه، وكانت قبيلة بنى خالد تتربص به وتستعد لمفاجئته بقوات سريعة الحركة فشنت هجومها عليه وهو في طريق العودة، ولكنها منيت بهزيمة ثقيلة خسرت فيها معظم رجالها، وبذلك رجحت كفة الأشراف في نجد وازداد النشاط الخالدى في المناطق الأخرى الواقعة على امتداد الساحل الغربى للخليج العربى كالأحساء وعمان⁽²⁴⁾.

ويبدو أنه منذ أن استولى بنو خالد على السلطة في الأحساء زالت هيمنة الأشراف القوية في نجد حيث أصبح لهم منافس عليها من الشرق، غير أنه في الوقت الذى باشر فيه بنى خالد الحملات على نجد، فإن وجود الأشراف في نجد لم ينقطع إذ استمرت حملاتهم عليها وإن لم تكن بكثافة حملاتهم السابقة، ففي سنة 1677 م يقوم

الشريف محمد الحارث بمهاجمة قبيلة الفضول مما أدى إلى مصرع شيخها غانم بن جاسر كما هاجم أيضاً في نفس السنة قبيلة الظفير، وهي في القصيم عند مكان يدعى الضلفعه، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين، وقتل عدد من الأشراف، غير أن محصلة الهجوم كانت لصالح الأشراف مما أدى إلى قبول الظفير بالصلح⁽²⁵⁾.

وفي عام 1673 م قام الشريف بركات بهجوم على قبيلة حرب وشيخها أحمد بن رحمة بن مزيان والذي لقي حتفه مع عدد من شيوخ قبيلته، وقد أمر الشيخ بركات ببلادهم فنهبت، وفي العام التالي قام الشريف أحمد بن زيد بمهاجمة أهالي عنيزة في القصيم، واشتهر بارتكاب أعمال وحشية ضد أهلها⁽²⁶⁾.

وفي سنة 1685 م يعلن شيخ الظفير سلامة بن مرشد بن صويط دخوله في طاعة شريف مكة أحمد بن زيد بن محسن ويعسكر بالقرب لمدة شهرين بعد استجابة أشراف مكة الخطية لطلب الشريف أحمد العفو عن ابن صويط⁽²⁷⁾.

وفي خضم هذا الصراع الدائر في نجد لا نلاحظ أي صدام عسكري مباشر بين أشراف مكة وبنى خالد حكام الأحساء طوال فترة وجود براك كزعيم لبنى خالد، مع أنه من المفترض حدوث ذلك لتضارب مصالحهما في نجد ولعدائهما القديم، ولكن يلاحظ أن هناك صراعاً بين الطرفين بشكل غير مباشر يتمثل في محاولة كل طرف تدعيم نفوذه وسيطرته على نجد وظهر ذلك جلياً في الحملات التي قام بها كل طرف على قبائل نجد من أجل إخضاعها والهيمنة عليها، كما يظهر أن بنى خالد كانوا دائماً هم أصحاب المبادرة في مد نفوذهم وسيطرتهم على قبائل نجد، وأن الأشراف كانوا يتأخرون عن بنى خالد بخطوة في هذا السباق المحموم، فنجد أن ذات القبائل التي قام براك بمحاولات لإخضاعها والسيطرة عليها يقوم الأشراف بالهجوم عليها كالظفير وغيرها، في محاولة منهم لتدعيم نفوذهم وفرض سيطرتهم على هذه القبائل، وإيصال رسالة فحواها أنهم هم أيضاً أصحاب مصالح في نجد، وأن سيطرة بنى خالد على قبائل نجد ليست بالمطلقة، فهناك من يتربص بهم الدوائر ويستطيع تحقيق السيطرة والتوسع في نجد في ذات المناطق التي يتواجد فيها النفوذ الخالدي.

ولكن يبدو أن الصدام العسكري المباشر وإن تأخر بعض الشيء كان لابد منه، ففي سنة 1687 م وردت إشارة إلى موقعة تدعى "مزارم" بين الشريف أحمد بن زيد وبنى خالد برئاسة محمد بن غرير بالقرب من "الدفاين" في غربي نجد وبالرغم من عدم ذكر نتيجة المعركة إلا أنها أول مواجهة بينهما منذ تولى بنو خالد السلطة، وقد جاءت بعد اعتداء الشريف أحمد بن زيد على أهالي عنيزة كما سبق ذكره⁽²⁸⁾، خاصة وأنه يوجد عدد كبير من الأسر الخالدية في عنيزة، وقد كان امتداد نفوذ بنى خالد في عنيزة بعد القرن الثامن الهجري، ثم أصبحت هذه الأسر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين بل إلى منتصف القرن الثاني عشر من أبرز عشائر عنيزة⁽²⁹⁾.

كما هاجم الشريف أحمد في نفس السنة 1886 م قبيلة عنزة* المتمردة وذات العلاقة الودية مع بنى خالد، ولعل موقعة "مزارم" وقعت بسبب إحدى هاتين الحادثتين أو نتيجة لتنافسهما على نجد، غير أن هذا النزاع كان مؤقتاً، إذ سرعان ما ساد الهدوء والتفاهم بين الطرفين، ويبدو أن تلك العلاقة السلمية بين الطرفين ترجع إلى أن بنى خالد قد ازدادت علاقتهم بالعثمانيين، فمع استيلاء بنى خالد على السلطة في الأحساء، نلاحظ كما مر سابقاً أنهم لم يحاولوا استشارة العثمانيين بل حاولوا التقرب إليهم، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى رضوخ العثمانيين للأمر الواقع وقبول بنى خالد كخلفاء مستقلين بالمنطقة عملياً، الأمر الذى يعنى أن كلاً من الأشراف وبنى خالد يربطهم الولاء للدولة العثمانية الأم⁽³⁰⁾.

على أن تلك العلاقات الودية لم تمنع بنى خالد من الاستمرار فى حملاتهم على نجد، بل يتصاعد النشاط الخالدى في نجد فقد قام محمد آل غرير فى سنة 1688 م بمهاجمة إقليم الخرج مما اضطر زعماء آل عثمان من قبيلة عائد بعد قتال عنيف إلى مصالحته فانسحب عنهم⁽³¹⁾.

ويمتد نشاط محمد آل غرير ليصل إلى إقليم سدير إلى الشمال من الخرج حيث يحاصر آل غزى من قبيلة الفضول فى سدير، وكان على رأس المحاصرين شيخ الفضول ابن جاسر، وانتهى الأمر برفع الحصار بعد شهر ونصف⁽³²⁾.

وفى تلك الأثناء مات محمد آل غرير سنة 1691 م، وتولى بعده ابنه سعدون بن محمد، وقد سار على نهج أبيه من حسن السيرة ونشر العدل، واستمر فى التمكين لاستقرار حكم بنى خالد فى الإحساء⁽³³⁾. وفى ظل زعامة سعدون لبنى خالد يستمر النشاط الخالد فى نجد ففى سنة 1692 م يهاجم سعدون قبيلة زعب النجدية واستولى على ماشيتها بعد أن قتل العديد من رجالها⁽³⁴⁾. وفى سنة 1693 م قام نجم بن عبيد الله آل حميد بهجوم فاشل على قبيلة آل كثير وهى فى إقليم سدير لجأ على إثره نجم إلى بلدة العطار حيث قام آل كثير بمحاصرته مما اضطره فى النهاية إلى الانسحاب⁽³⁵⁾. وعقب هذه الحملات لا نجد ذكراً للوجود الخالدى فى نجد حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادى، ويبدو أن هذا كان نتيجة لتورطهم فى الصراع الدائر فى منطقة البصرة فى تلك الفترة بين العثمانيين وحلفائهم من جهة وبين القبائل المتمردة وعلى رأسها المنتفق⁽³⁶⁾.

وفى ظل ضعف النشاط الخالدى فى نجد، بدأ نشاط الأشراف يعود إلى نجد من جديد فى الفترة من سنة 1694 م إلى سنة 1699 م عقب تولى سعد بن زيد فى مكة، والذى نجح فى السيطرة على الأمور فى مكة، بعد أن تخلص من كل منافسيه على الحكم فى مكة، وأنهى صراعاً دموياً بين الأشراف على السلطة فيها دام قرابة عشر سنوات توقف على أثره النشاط الخارجى للأشراف خصوصاً فى نجد، وقد كان نظر الشريف سعد متجهاً منذ البداية إلى نجد، إذ نجده يستغل استقرار سلطته النسبية فى مكة فيشن حملة على نجد سنة 1694 م، ولكن منافسوه فى مكة سرعان ما استغلوا خروجه على ما يبدو وحاولوا الاستيلاء على السلطة مما اضطره إلى الانسحاب من نجد بعد أن وصل سهل الحماد بالقرب من بلدة الغاط فى سدير، وبعد تصفية الأمور فى مكة عاود حملته بعد سنتين على نجد حيث حاصر بلدة أشيقر حتى خضع أهلها لمطالبه كما هاجم بلدان جلال والباطن فى سدير، بالإضافة إلى روضة سدير التى اعتقل أميرها ماضى بن جاسر ثم عاد إلى مكة⁽³⁷⁾.

وفى عام 1697 م يعين الشريف عبد العزيز على ولاية نجد ويعتقل سلامة بن سويط شيخ الظفير، وفى عام 1699 م يعتقل الشريف عبدالعزيز عدداً من أهالى البيرة

فى المحمل ، وفى عام 1699 م يقوم الشريف سعد بن زيد باعتقال حوالى مائة شيخ من شيوخ قبيلة عنزة، ولا نعرف فى فترة نشاط الأشراف تلك فى نجد مدى العلاقة بينهم وبين بنى خالد غير أن العلاقات كانت متوترة بين الأشراف وبنى خالد لدرجة خشية أهالي الأحساء من امتداد حملات الشريف سعد بن زيد العسكرية إليهم⁽³⁸⁾. وأعتقد أن ما ذكر عن خشية أهالي الأحساء من امتداد حملات الشريف سعد إليهم نظراً لانشغال بنى خالد بالحرب مع قبائل المنتفق ليس دقيقاً، فمن استقرار طبيعة العلاقات بين الطرفين وقلة حالات الصدام العسكرى بينهما، كان من المستبعد قيام أى طرف بالهجوم المباشر على الطرف الآخر.

الخاتمة

يتضح من العرض السابق مدى النفوذ السياسى لبنى خالد فى الأحساء، وحسن استفادتهم فى تدعيم هذا النفوذ من الأهمية الإستراتيجية والتجارية لمنطقة الأحساء، وقد تمكنوا بفضل الاستقرار الذى تحقق لهم فى الأحساء من مد نفوذهم وسيطرتهم على المناطق المجاورة للأحساء خاصة فى نجد، مما جعلهم فى مواجهة مع الأشراف الذين كانوا يحاولون أيضاً إعادة إحياء نفوذهم القديم فى مناطق نجد، لتأخذ العلاقات بين الطرفين شكل التنافس السياسى والعسكرى فى مدى أحقية كل طرف فى السيطرة وتدعيم النفوذ فى نجد، وإن كان هذا التنافس لم يتطور إلا فى حالات نادرة إلى صراع عسكرى مباشر، ليقين كل طرف بمدى قوة الطرف الآخر، وأن الدخول فى صدام مباشر ليس فى صالح أى من الطرفين، وتراوح نشاط كل طرف فى نجد ما بين مد وجزر تبعاً لظروف كل طرف، وما يواجهه من عقبات فى منطقته الأصلية.

وإذا كانت نجد ذات أهمية للطرفين، فقد كان كل طرف ينظر لهذه الأهمية من وجهة النظر الخاصة به، ولكل طرف أهداف من وراء الحملات التى يوجهها إلى نجد، فبالنسبة لبنى خالد فبالإضافة إلى التوسع والسيطرة، كانت حملاتهم على نجد موجهة بسبب الاعتداء على قوافل الحجاج من جانب بعض القبائل النجدية مثل قبيلة الظفير القوية، أما بالنسبة للأشراف فقد كانت معظم حملاتهم الهدف منها الحصول على

الغنائم ومعاقبة كل من يتمرّد على هذا الوضع ومن المستبعد أن تكون تلك الحملات بسبب الاعتداء على قوافل الحج، خاصة أن هذه الحملات كانت موجهة في معظمها إلى القرى والحوضر النجدية، والحضر عادة لا يعتدون عليها .

الهوامش

- (¹) الزيدى؛ مفيد. (2003). موسوعة التاريخ الاسلامى: العصر العثمانى. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع. ص 64.
- (²) نخله؛ محمد عرابى. (1974). تاريخ الأحساء السياسى 1818 - 1913. جامعة الكويت: كلية الآداب. ص 14 .
- (³) الزيدى. مرجع سابق. ص 64 .
- (⁴) الشلق؛ أحمد زكريا. (2000). العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 - 1916. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع. ص 119.
- * براك بن غريز : هو براك بن غريز بن عثمان بن سعدون بن ربيعة آل حميد من كبار شيوخ بنى خالد، ومؤسس إمارتهم فى الاحساء، توفى عام 1681 م
- انظر: العوسجى؛ محمد بن حمد بن عباد. (1999). تاريخ بن عباد. دراسة وتحقيق: عبد الله بن يوسف الشبل. السعودية.
- (⁵) الوهبي؛ عبدالكريم بن عبدالله. (1989). بنو خالد وعلاقتهم بنجد 1080-1208 / 1669-1794 . ط1. السعودية: دار ثقيف للنشر والتأليف. ص ص 176 - 177.
- (⁶) ابن بشر؛ عثمان بن عبد الله. (د.ت). عنوان المجد فى تاريخ نجد. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ. ط4. الرياض: دار الملك عبدالعزيز. ص ص 330-331.
- (⁷) الوهبي. مرجع سابق. ص ص 181-182.
- (⁸) الزيدى. مرجع سابق. ص 68 .
- (⁹) الوهبي. مرجع سابق. ص ص 368-372.
- (¹⁰) الودينانى؛ خلف بن دبلان خضر. (1984). الأحساء فى القرن الثانى عشر الهجرى. رسالة ماجستير. المملكة العربية السعودية: كلية الشريعة والدارسات الإسلامية. ص 123.
- (¹¹) الوهبي. مرجع سابق. ص 158.
- (¹²) الودينانى. مرجع سابق. ص 123.
- *المبرز: بالميم المضمومة، احدى قرى الأحساء وسميت بهذا الاسم لتجمع حجاج الأحساء بها استعدادا للسفر إلى مكة لاداء فريضة الحج.

- انظر: الوديناني. خلف بن دبلان خضر. مرجع سابق. ص 31.
- (¹³) شاكر محمود. (1981). شبه جزيرة العرب الإحساء - الكويت - البحرين - قطر. الطبعة الأولى. المكتب الإسلامي. ص 70 ، راضي؛ محمد فخرى. (2015). تاريخ وأمجاد قبائل البحرين. الاردن: دار أمجد للنشر والتوزيع. ص 45.
- *سدوس : قرية تقع إلى الشمال الغربي من الرياض وتبعد حوالي مائة كيلو متر عن الرياض.
- انظر: العوسجي. مرجع سابق. ص 61.
- (¹⁴) ابن عيسى؛ إبراهيم بن صالح. (1999). تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من 700 هـ إلى 1340 هـ . المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد. ص 52 .
- (¹⁵) الشلق. مرجع سابق. ص 121 .
- (¹⁶) الوديناني. مرجع سابق. ص ص 100-101-106.
- *الظفير : من قبائل نجد المشهورة وتتكون من مجموعة احلاف من العدنانية والقحطانية وينتشر افرادها ما بين نجد والعراق وعاشت صراعا قويا مع كل من بنى خالد والأشراف
- انظر: النجدي. محمد البسام التميمي. (2010). الدرر المفخر في أخبار العرب الآخر (قبائل العرب). تحقيق. سعود بن غانم الجمران. الطبعة الثانية. الكويت. ص ص 213-214.
- (¹⁷) ابن بسام. عبد الله بن محمد. (2000). تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. تحقيق: إبراهيم الخالدي. الكويت: المختلف للنشر والتوزيع. ص 135.
- (¹⁸) الوهبي. مرجع سابق. ص 198.
- (¹⁹) ابن بسام. مرجع سابق. ص ص 135-136.
- (²⁰) الوهبي. مرجع سابق. ص 199-200.
- (²¹) الوديناني. مرجع سابق. ص ص 82.
- (²²) الوهبي. مرجع سابق. ص ص 199-200-201.
- (²³) الوديناني. مرجع سابق. ص 83.
- (²⁴) الوهبي. مرجع سابق. ص 193-195-196.
- (²⁵) الفاخري؛ محمد بن عمر. (1999). تاريخ الفاخري. تحقيق: عبد الله بن يوسف الشبل. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. ص 77.
- (²⁶) فليبي؛ سنت جون. (1994). تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. تعريب: عمر الديراوى. القاهرة: مكتبة مدبولي. ص 28 - 29.
- (²⁷) العاصمي؛ عبد الملك حسين بن عبد الملك. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية. ج 4. ص 567
- (²⁸) الوهبي. مرجع سابق. ص 203.

- (29) الجاسر؛ حمد بن محمد. (2001). جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. ق1. ط 4. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. ص ص 188-189.
- *قبيلة عنزة : تنسب إلى أسد بن ربيعة وتمتد منازلها من نجد إلى الحجاز وهي من أكبر القبائل العربية في الوقت الحاضر
- انظر : حمزه؛ فؤاد. (2001). قلب الجزيرة العربية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص 171.
- (30) الوهبي. مرجع سابق. ص 203-204.
- (31) ابن عيسى. مرجع سابق. ص 58.
- (32) الفاخرى. مرجع سابق. ص 104.
- (33) الوديناني. مرجع سابق. ص 84.
- (34) ابن بسام. مرجع سابق. ص 153.
- (35) الفاخرى. مرجع سابق. ص 108.
- (36) الوهبي. مرجع سابق. ص 208.
- (37) ابن بسام. مرجع سابق. ص 152 - 157 ؛ بن بشر. مرجع سابق. ص 347.
- (38) الوهبي. مرجع سابق. ص 210-211.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن بسام. عبدالله بن محمد. (2000). تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. تحقيق: إبراهيم الخالدي. الكويت: المختلف للنشر والتوزيع.
- 2- ابن بشر. عثمان بن عبد الله (1983). عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبد الله آل الشيخ. ط 4. الرياض: دار الملك عبدالعزيز.
- 3 - ابن عيسى. إبراهيم بن صالح. (1999). تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من 700 هـ إلى 1340 هـ. المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد.
- 4 - الجاسر حمد بن محمد. جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. ق1. ط 4. الرياض: دار اليمامة للبحث.
- 5- الزيدى. مفيد (2003). موسوعة التاريخ الاسلامى. العصر العثمانى. الأردن: دار أسامه للنشر والتوزيع.
- 6 - الشلق. أحمد زكريا. (2000). العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 - 1916. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.
- 7- العاصمى. عبدالملك حسين بن عبد الملك. سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض. ج 4. بيروت: دار الكتب العلمية.

- 8- الفاخرى. محمد بن عمر. (1999). تاريخ الفاخرى. تحقيق: عبد الله بن يوسف الشبل. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- 9- النجدي. محمد البسام التميمي. (2010). الدرر المفخر في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب). تحقيق: سعود بن غانم الجمران. الكويت.
- 10- الوديناني. خلف بن دبلان خضر. (1984). الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري. رسالة ماجستير منشورة. المملكة العربية السعودية: كلية الشريعة والدارسات الإسلامية.
- 11- الوهبي. عبدالكريم بن عبد الله (1989). بنو خالد وعلاقتهم بنجد 1080 - 1208 / 1669-1794. ط1. السعودية: دار تقيف للنشر والتأليف.
- 12 - حمزه. فؤاد. (2002). قلب جزيرة العرب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- 13- راضي. محمد فخرى. (2015). تاريخ وأمجاد قبائل البحرين. الطبعة الأولى. الأردن: دار أمجد للنشر والتوزيع.
- 14 - شاكر محمود. (1981). شبه جزيرة العرب الأحساء - الكويت - البحرين - قطر. ط 1. المكتب الإسلامي.
- 15- فليبي. سنت جون. (1994). تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية). تعريب: عمر الديراوي. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- 16- العوسجي. محمد بن عباد. (1999). تاريخ بن عباد. دراسة وتحقيق: عبد الله بن يوسف الشبل. السعودية.
- 17- نخله؛ محمد عرابي. (1974). تاريخ الأحساء السياسي 1818 - 1913. جامعة الكويت: كلية الآداب.